

الرَّسَالَة ٣٦

لَمَاذَا يَرْفُضُ كَثِيرُونَ الْمَسِيحَ إِذَا كَانَ هُوَ الْحَقُّ؟

(Arabic - If Jesus is the truth, why do so many people reject Him?)

حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرني وجواب أفنعي .
سؤال هذه الحلقة : لماذا يرفض كثيرون المسيح إذا كان هو الحق؟
يجيبنا على هذا السؤال : Cliffe Knechtle^١
في كتابه : Give me an answer that satisfies my heart and my mind.
وقد حصلنا على تصريح كتابي من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربية.

بديهياً أنه يمكننا الحكم على صحة بعض الأمور بدليل موافقة الغالبية عليه.. وأنه يمكننا الحكم على عدم صحته بدليل رفض الغالبية له.. ولكن ليس ذلك قانوناً يُطبَّق في جميع الحالات وعلى الخصوص المسيحية.. لأن المسيحية ليست كالنظريات العلمية التي نثبت صحتها أو نثبت عدم صحتها كنظرية بقاء أو فناء الذرة مثلاً.. فلا يصح أن نضع أماننا النظريات اللاهوتية المختلفة ثم نجلس في استرخاء لتقييم هذه وتلك ثم نقرر في النهاية أيها يتفق مع مفهومنا فنقبله وأيها لا يتفق فنرفضه.. إن المسيحية تحد.. وباعتبار أنها الحق فالعالم بأكمله سينقلب رأساً على عقب بقبول المسيح.. وهذا أمرٌ بديهى أيضاً إذا تصوّرنا العالم بأكمله يتمسك بالخير ويرفض الشر.

السبب الأول والرئيسى الذى يجعل الناس يرفضون المسيح هو أنه تهديداً خطيراً لمعتقداتهم لأنه يكشف أموراً عن الله تهزّ الكيان البشرى.. إن أول ما يكشفه المسيح عن الله هو أن الله قدوس.. ونحن من طبيعتنا البشرية نحب رؤية أنفسنا على ما نحن عليه.. أشخاص لا غبار علينا.. فيمظهرنا الأنيق أمام الناس وأسلوبنا المهدب فى الحديث مع الآخرين ومقدرتنا على السلوك الطيب المقبول نستطيع أن نحوز أعجابهم وتقديرهم.. لذلك يلزمنا جداً هذا المظهر وحاجتنا إليه شديدة لأنه يُشبع فينا غريزة الاعتداد بالذات ويكسبنا راحة نفسية داخلية إذ تبدو فى صورة حسنة تروقنا.. فهل يمكننا مقارنة حياتنا بهذا الأسلوب بحياة يسوع المسيح على الأرض؟!.. أين نحن من تعاليمه؟!.. ليس من سبيل على الإطلاق أن نواجه السيد المسيح ونحن بوضعنا هذا.. فهو يعلن أن الله كلى القداسة.. فإذا كنا نقيس أنفسنا بمقاييس صلاحه سنجد أنفسنا وقد تجرّدنا من ثوب الصلاح ارتديناه لنخدع به.^٢

إن يسوع إذ يرفع القناع ويكشف عنا الغطاء الذى نستتر وراءه سنظهر على حقيقتنا وهى أننا لسنا الشخصيات الممتازة التى ننقمصها. سنكتشف أنانيتنا ودوافعنا الملتوية بقوة نوره الوضّاح. سنكتشف أننا لسنا بعد قادرين على أن نتراعى بذلك الصلاح الوهمى.. فكيف نتجنب هذا التهديد الخطير من جانب المسيح؟!.. بإنكارنا له ونجاهلنا قداسة الله!. وذلك أمرٌ هين مقدورٌ عليه ونحن نجيدُه!. فبنكراننا له نستطيع الاستمرار فى لعبتنا المحبوبة وهى التظاهر بشخصيات طيبة!. وإذا كان هناك إله وراحة أبدية. فنحن قادرون على الفوز بها. لأننا نتحلّى بأخلاق سامية تتفوق بها على باقى الناس ونحن مقتنعون أن حسناتنا تفوق سيئاتنا.. ولكننا بقبولنا يسوع المسيح الذى يكشف أن الله كلى القداسة.. فإننا مضطرون إلى مواجهة حقيقتنا بأننا أشخاص متمرّدون ضدّ الله ولسنا مُحبّين للآخرين بل نحن نحب ذواتنا وإن ظهرنا بغير ذلك.. أوليس هذا تهديداً مُرعياً يواجهنا إذا قبلنا المسيح?!..

السبب الثانى: الذى من أجله يرفض الناس المسيحية.. أن المسيح يكشف بوضوح أن الله كلى المعرفة.^٣ فلقد قال الرب يسوع: "ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يُعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تبتبر وبكلامك تدان".^٤ وكاتب سفر العبرانيين يقول: "وليسَتْ خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء

استمع إلى الإنجيل

١ Cliffe Knechtle

٢ سفر لاويين ٢٠: ٢٦

٣ سفر المزامير ١٣٩: ١ - ١٦

٤ إنجيل متى ١٢: ٣٦ - ٣٧

عرياناً ومكشوفاً لعينى ذلك الذى معه أمرنا".^١ هذا يجعلنا منزعجين للغاية فهناك جوانب معينة من حياتنا لسنا نريد أحداً يعلم شيئاً عنها فهي خصوصيات ومن العار أن ينظرَ إليها أحدًا!. ولكن المسيح يعلن الحقيقة أن الله يرى كل جانب من جوانب حياتنا بل يحيط بعلمه ما بداخلنا وخارجنا على السواء.. يرى الخير الذى نفعله كما يرى أعمال الرِّياء والنفاق وكل سلوكٍ ردىء.. وإذا توقفتنا لحظة عند هذه الحقيقة يصيبنا الرعب فنحاول الهروب.. كما نحاول إنكار ذلك الذى نراه يتطلع إلينا من ثقب الباب!. قد نصرّح بأنه لا يوجد من يستطيع أن يرى أفقرَ الجوانب الخفية من حياتنا ونفنع أنفسنا بأننا أصحاب سلطة ونستطيع أن نتحكم في أمور حياتنا.. والأخبار السارة التى لا يعلمها معظم الناس أن الله الذى يرى كل شىء هو أيضاً يريد أن يسترنا ويغطينا.. إن يسوع المسيح قد سفك دمه ومات على الصليب دافعاً قصاص ما ارتكبنا من خطايا.. فإذا تحولنا إليه رجوعاً معترفين بخطايانا.. سيغفر لنا ويستتر عرينا. لأنه لا يريد أن يدمرنا لأفعالنا المشينة بل "يريد جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون".^٢

والسبب الثالث: الذى من أجله يرفض الناس المسيح وهو أنه يُعلن أن الله عادل وأن الله وحده له السلطان أن يحدّد ما هو خيرٌ وما هو شرٌ. فإذا كان حقاً أن الله حىّ فلسنا نحن بعد أحراراً لنفعل ما يظنّ لنا.. وكما يقول **Dostoyevsky**^٣ إذا لم يكن الله موجوداً فكل الأشياء فعلها حلال.. أما إذا كان الله حياً فكيف أحيا مُستقلاً عن الله الحى الموجود؟! وإذا أردنا أن نبقى مستقلين عن الله فواحدة من اثنتين: إما أن نتجاهل الله أو ننكر وجوده.. فإذا أنكرنا وجود الله نقوم نحن بدور الله ونحدّد ما هو صالح وما هو طالح بأنفسنا لأنفسنا.

قال أحد الطلبة في جامعة نيويورك: إن الكتاب المقدس أسطورة عفا عليها الزمن.. فسألته: هل قرأته؟ أجاب بالنفى.. فقلت له: اقرأ سفرَ إشعيا في العهد القديم وقرأ إنجيل متى في العهد الجديد ثم بعدها خبرنى إن كان الكتاب المقدس لا يزال في رأيك أسطورة قديمة.. ظننت أنني لن أراه ثانية ولكنه في اليوم التالي اقترب إلى وقال: قرأت سفرَ إشعيا وإنجيل متى.. حقاً إنه أدب رفيع وفي اعتقادي أنه التعبير الصادق عن الحق.. فأجبت: إن ما تقوله رائع.. فهل أنت مُستعد أن تتق في شخص المسيح من أجل حياتك الأبدية؟ فأجاب: لا سبيل إلى ذلك.. أصارك بأننى منغمس في علاقات جنسية وأعلم أن المسيح يريد تغيير أسلوب حياتي ولست أريد تغييرها لما أنا عليه.. إن الله لا يلقى بأحد في جهنم ولكن الناس يبعثون الله عن حياتهم لذلك سيبقى هؤلاء بعيدين عن الله.

والسبب الرابع: الذى من أجله يرفض الناس المسيح وهو أن بعضهم يظنّ أنه غير قادر على الحياة مع المسيح.. ويقول: لست أستطيع أن أصل إلى المستوى المثالى للمسيح فى الأخلاق وأخشى أن أصبح مرثياً.. هذا حق لا ريب فيه فليس من سبيل لك أو لى كى ندرك المستوى الذى كان عليه المسيح على الأرض.. ولكن الأخبار السارة أن المسيحية ليست مجموعة قواعد وأحكام مكتوبة على لافتة مثبتة على حائط والمطلوب منا تنفيذها.. إن المسيحية فى حقيقتها هى علاقة محبة شخصية تربطنا مع الرب يسوع الحى.. إن المسيح لا يدعو الناس إلى تنفيذ برنامج سبق وضعه ويلزمنا تنفيذه اعتماداً على أنفسنا.. بل بالأحرى يدعونا المسيح إلى الإتيان إليه فى تواضع وانكسار وبتقوى كاملة فى شخصه لننال غفرانا وتبريراً.. وليحل الله فىنا بروحه القدوس.. وبإيجاز أقول: إن المسيحية هى علاقة بين الإنسان والله.. هذه العلاقة يُحددها يسوع بقوله: "هأنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى".. إن يسوع المسيح يريد الدخول فى علاقة معنا.. وينتظر منا أن نستجيب له فهل نقبل دعوته ونفتح الباب؟ هل نرفض المسيح وهو "الطريق والحق والحياة"؟!^٤

أدعوك أذى أن تصلى معى: أبانا السماوى.. أشكرك من أجل تدبيرك العجيب لخلص نفسى أنا الخاطى من الهلاك الأبدى وتهبنى أن أحيا الحياة الأبدية معك فى سماك.. أعترف بأننى لست مُستحقاً.. ولكن فى استحقاق دم الفادى ربنا يسوع المسيح الابن الوحيد أتى إليك واثقاً فى محبتك.. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

وإن أردت سماع تلك الرسالة بالإنجليزية من Cliffe Knechtel ستجد ذلك فى:

<http://www.givemeananswer.org/main/home/index.html>

^١ الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٣

^٢ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٤

^٣ Fyodor Dostoyevsky Biography

^٤ سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٣: ٢٠